

سلسلة دبلوماسية مكافحة الأوبئة

هل تخلق التحديات الراهنة فرصاً في المستقبل؟

أغسطس 2020

ومدنها تنبض بالحياة. والاعتقاد على السكون الذي كان يخيم على شوارع مدريد لم يكن بالأمر اليسير. وفي ذات الوقت أثارت إعجابي القدرة التي أظهرها الشعب الإسباني والحكومة والمؤسسات الإسبانية في التكيف والتعامل مع أزمة بهذا النطاق.

وكذلك، كانت بعثتنا الدبلوماسية مثلاً يحتذى به في كيفية التعامل مع حالة الطوارئ الناتجة عن ذلك الخطر الخفي. فلم يتردد أعضاء فريق العمل في السفارة في التقدم إلى الصدارة للانضمام إلى أبطال الصفوف الأمامية، وكانوا يهرعون دائماً لمساعدة المواطنين، ويضعون أنفسهم في طريق الأذى لتقديم يد العون للمحتاجين.

وأشعر شخصياً بالفخر إزاء الخطوات السريعة التي اتخذتها قيادة دولة الإمارات، والتي لم تتردد إطلاقاً في اتخاذ قرارات صعبة مع مراعاة الشفقة والتواضع في تطبيق هذه القرارات؛ فدولة الإمارات هي نموذج مصغر للعالم حيث يعيش فيها نحو 200 جنسية بسلام. وأثبتت الدولة التزامها نحو جيرانها وأصدقائها في العالم، حيث قدمت المساعدات لأكثر من مليون شخص من العاملين في المجال الطبي، وأرسلت 1,000 طن من مستلزمات التعقيم والمواد الطبية والغذائية إلى أكثر من 70 دولة لمحاربة الوباء.

وأكدت لي هذه الأزمة بجلء أن العديد من التهديدات والتحديات التي تواجهنا اليوم هي مخاطر وتحديات عابرة للحدود، ولا سبيل للتصدي لها دون التعاون والتضامن. وربما يصعب علينا أن نتصور العودة إلى "الوضع العادي" الذي كان سائداً في السابق، بيد أن هذه الأزمة أيضاً - مثلما هو الحال في كل الأزمات - لا بد لها من نهاية. أعتقد أننا في مفترق طرق قد يُحدث تغييرات جذرية في مسيرة تطور الاقتصاد العالمي والعلاقات الدولية على مدار السنوات المقبلة.

فالفيروس غيّر الكثير من أنماط الحياة والعمل، لدرجة أنني أعدت التفكير في جوانب عديدة من حياتي، حتى البعض منها الذي كان من المسلمات كالذهاب إلى صالات اللياقة البدنية أو التسوق. وفي الفترة التي مكثنا فيها في المنزل، قضيت ساعات طوال في التفكير في العمل الذي تنفذه السفارة، وحاولت أيضاً تقييم التحديات والفرص التي قد تنشأ عن ذلك.

وبالرغم من القيود الراهنة، كانت الدبلوماسية لها دور حيوي في الدول لفهم مختلف السياسات المطبقة والحقائق على الأرض، وكذلك تقديم المعلومات إلى الأطراف المعنية. وبعد أن نهضنا بدور هام في إدارة الأزمة، فينبغي أن نكون على

سعادة ماجد السويدي

سفير دولة الإمارات العربية المتحدة لدى إسبانيا والفاتيكان وأندورا



في هذه النسخة من التأملات الدبلوماسية التي تصدرها أكاديمية الإمارات الدبلوماسية، يرى سعادة السفير ماجد السويدي أن الأضرار الشديدة التي سببها وباء الكوفيد-19 أخرجت أفضل ما لدى الدبلوماسيين من صفات في المساعدة الإنسانية والابتكار. ويرى أيضاً أن هذه الأزمة قد تصبح نقطة تحول في كيفية تعامل المجتمع الدولي مع تحديات أوسع نطاقاً ومنها تغير المناخ، والتنوع الاقتصادي، والفقر.

عندما ننظر في السنوات المقبلة إلى الوراء نحو سنة 2020، فلا جدال أننا سنرى أنها كانت لحظة تحول تاريخية. ورغم أنه من الصعوبة بمكان أن نحدد بدقة طبيعة التغيير الذي ستحدثه الفترة الراهنة في عالمنا، إلا أننا نلمس فعلاً تأثيرها في حياتنا اليومية المعتادة. فقد داهمت الأزمة صانعي القرار وفوجئوا بسرعتها ونطاقها؛ فالقليل كان لديهم خبرة في التعامل مع مثل ذلك الحدث، ولم يحدث قط في تاريخ العالم من قبل أن اتخذت الدول قراراً منهجياً بإيقاف قطاعات من اقتصاداتها معاً، وهو قرار لم تظهر تبعاته كاملةً بعد.

ففي غضون أسابيع، رأينا أن مدريد صارت واحدة من أشد المدن تضرراً في العالم، ونحن في السفارة واجهنا الفيروس على عتبة بابنا بالمعنى الحرفي. ومع ذلك، تجلت أفضل صفات الإنسانية في تلك الفترة؛ حيث تضامنت الشعوب من جميع أنحاء العالم لمواجهة تهديد مشترك لا يميز بين أحد. وزادت الأزمة من وتيرة استخدامنا لوسائل التكنولوجيا، وغيّرت من الطريقة التي ننفذ بها أعمالنا، وأخرجت أفضل ما فينا من صفات. وأحدثت الأزمة كذلك تغييرات في الطريقة التي نمارس بها الدبلوماسية، وكانت اختباراً لمهاراتنا، وتذكيراً بأن هذه اللحظات التي يتم تدريب الدبلوماسيين لمواجهةها.

منذ أكثر من عام الآن، وأنا أحظى بشرف تمثيل دولة الإمارات العربية المتحدة كسفير لدى إسبانيا. وهؤلاء منكم الذين زاروا هذه الدولة الرائعة يعرفون أن إسبانيا دولة مفعمة بالنشاط،

قدر التحدي مرةً أخرى، ونسهم في الجهود التي تبذلها دولنا استعداداً للمستقبل. منذ أشهر قليلة مضت، لا أعتقد أن أحداً منا كان يتوقع أن التباعد الاجتماعي سيكون الوضع المعتاد. وبالمثل لم يكن أحد يتخيل أن حركة النقل الدولي قد تتوقف يوماً ما.

وبحسب الوقائع على الأرض الآن لم يتضح بعد كيف ستتطور هذه الأزمة في المستقبل القريب. وأنا أتلهف - مثل الجميع - لأرى لقاً أو علاجاً يتم تطويره لهذا الفيروس، وأحيي العلماء وشركات الأدوية على التعاون الذي لم يسبق له مثيل بينهم والنتائج المتميزة التي حققوها. هذا التعاون يعتبر مثلاً للتعاون المطلوب في المستقبل؛ لأنه لا يمكننا أن نمضي قدماً دون الاستعداد الكافي.

فالاقتصاد الدولي من المتوقع أن ينكمش بنسبة نحو 4.7% في العام الحالي، وأكثر السيناريوهات المطروحة تفاؤلاً تتنبأ بحدوث التعافي الاقتصادي في النصف الأخير من 2021. نحن بحاجة لإيجاد السبل الكفيلة بتعزيز مرونة وقدرة اقتصاداتنا على مواجهة الأزمات للتغلب على احتمال ظهور ذلك الفيروسي مجدداً وأي تحديات غير متوقعة قد تحدث أو الاثنيين معاً. ويقتضي ذلك منا أن نتعلم من بعض أوجه التكيف والتوجهات التي رأيناها على مدار الشهور القليلة الماضية.

«بالرغم من القيود الراهنة، كانت الدبلوماسية لها دور حيوي في الدول لفهم مختلف السياسات المطبقة والحقائق على الأرض، وكذلك تقديم المعلومات إلى الأطراف المعنية»

العديد من التغييرات التي مررنا بها في تلك الشهور هي مجرد تسريع لوتيرة اتجاهات كانت موجودة فعلاً من قبل. في عملي السابق كجيولوجي متخصص في مكامن النفط، رأيت بعيني كيف انتقلنا من الحفر اليدوي إلى أزرار التحكم الآلية. لقد نما التحول الرقمي في العمل نمواً مطرداً جراء الأزمة، ولن تشهد الفترة المقبلة إلا مزيداً من التحول إلى النظم الآلية والرقمية على الأرجح في إطار سعينا لإيجاد سبل لتوطين سلاسل الإمداد وتحسين الكفاءة. وسيؤثر ذلك على ملايين العمال، ويقترن بذلك آثار اجتماعية واقتصادية.

وحتى داخل السفارة نفسها، قُدمت جهوداً لتحديث نظام العمل، والبحث عن تطبيق وتطوير أساليب جديدة وحديثة في ممارسة النشاط الدبلوماسي. وأعتقد أن كل مؤسسة أعمال عليها اليوم أن تجري تلك النقاشات إذا كانت تطمح إلى النجاة من هذه الأزمة والازدهار في المستقبل.

ومن حُسن الحظ أن دولة الإمارات العربية المتحدة في وضع مميز؛ لأن قيادتنا وضعتنا على طريق التنوع الاقتصادي، والذي حقق نجاحاً كبيراً وأحدث نقلة نوعية في الدولة. اليوم، نحو 70% من اقتصادنا يقوم على قطاعات غير النفط والغاز، وهذا إنجاز رائع. غير أن ذلك مجرد خطوة في طريق طويل وللتعبير بصيغة أخرى عما قاله صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد، ولي عهد أبوظبي ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، فإننا نريد أن نحفل بتصدير آخر برميل من النفط. ويستدعي تحقيق هذا الهدف أن نواصل الاستثمار في تطوير الصناعات التي يحتاجها المستقبل والتي توفر فرص العمل للشباب. فإذا كان من المحتمل أن تقل العمالة المطلوبة في الصناعات التقليدية، فلا بد أن نكتسب مهارات جديدة ونبحث عن فرص عمل جديدة لقوة العمل لدينا.

في الشهور القليلة الماضية، شهدنا الاضطراب الذي حدث في سلاسل إمداد الغذاء أو حتى السلع الأساسية، ولكننا رأينا أيضاً السرعة التي تكيفت بها هذه السلاسل مع الأزمة لتلبية احتياجات السكان. إن السعي لتنوع مصادر الإمداد والإنتاج وكذلك البحث عن طرق مبتكرة للتصنيع المحلي قد يفتح فرصاً جديدة للتنمية. ولا ينبغي النظر إلى التحول إلى النظم الآلية والرقمية على أنه تهديد لوظائفنا، وإنما كفرصة لإنشاء صناعات جديدة وتحسين مستويات المعيشة للجميع. وإذا استطعنا التوفيق بين التكنولوجيا وبين الأفكار الجديدة حول التنمية المستدامة، فإن تلك اللحظة قد تصبح واحدة من أعظم الفرص المتاحة للبشرية ولكوكب الأرض.

ومن هذا المنطلق، يبدو لي بلاءً أن الذكاء الاصطناعي وغيره من الصناعات المتقدمة ستزداد أهميتها مع البدء في إعادة صياغة عملياتنا الإنتاجية في المستقبل المنظور. ومن المهم أن نسعى لتوسيع ذلك النطاق للإبداع والابتكار يشمل الجهود الرامية للتصدي لتغير المناخ ومعضلات الصحة والفقر. وينبغي النظر إلى وباء الكوفيد-19 باعتباره عرساً لتلك القضايا العامة والشاملة وليس ظاهرة منعزلة. ويسعدني أن بلادي في صدارة الدول التي تقود مبادرات البحث والتطوير في تلك المجالات وغيرها لزيادة القدرة على المواجهة والاستعداد لعالم الغد.

ويتعين علينا كدبلوماسيين أن نكون على قدر المسؤولية ونسهم في تسريع هذه العملية. فمن الضروري أن نعيد صياغة مهنتنا الدبلوماسية بما يتواءم مع سرعة التغيير. وفي أوقات التباعد الاجتماعي التي نعيشها، نحتاج إلى أن نتذكر أن العلاقات الشخصية هي التي أتاحت لنا إقامة العلاقات وتطويرها وتعزيزها. وبالرغم من أن الوسائل التقليدية في ممارسة الدبلوماسية لا تزال لها أهمية، فإننا نعرفنا على أدوات جديدة والتي ينبغي أن نستخدمها في الاستعداد لعالم الغد وضمان أنه يمكننا أن نمارس "الدبلوماسية بالشكل المعتاد" في أقرب وقت ممكن.

أطلع بشغف إلى المستقبل وفرصة العودة إلى زيارة الناس في ذلك البلد الرائع. وفي هذه الأثناء، فإنني سألجأ إلى العالم الافتراضي لأنقل للجانب الإسباني قصة النجاح التي حققتها دولة الإمارات، وهي دولة تضع المقياس لما سيكون عليه المستقبل.